الكتابة اللسانية العربية الحديثة معايير تصنيفها وعوائقها الإبستمولوجية

Modern Arabic linguistic writing, its classification criteria and its epistemological obstacles

ط.د عبد الجليل ضيف*
جامعة باجي مختار عنابة
مخبر الترجمة وتعليمية اللغات (الجزائر)
abdeldjalil.dif@univ-annaba.org

أ.د يوسف منصر
جامعة باجي مختار عنابة
مخبر الترجمة وتعليمية اللغات (الجزائر)
youcefmajed@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 30- 01- 2022	تاريخ التقييم: 04-04- 2022	تاريخ القبول: 15- 06- 2022

الملخص:

يهدف هذا العمل إلى الاطلاع على الكتابة اللسانية العربية الحديثة، ومعرفة أنواعها، والمعايير التي اعتمدت في تصنيفها، وأنواع عوائقها، من معوقات صورية، وأخرى إبستمولوجية، حيث تم تصنيفها حسب ثلاثة معايير، وهي: الموضوع، والمنهج، والغاية، فتم تقسيمها حسب هذه الأخيرة إلى ثلاثة أصناف من الكتابات: الأولى الكتابة اللسانية التمهيدية، والثانية الكتابة اللسانية التراثية، والثالثة الكتابة اللسانية المتخصصة، ولكل من هذه الخطابات السالف ذكرها مميزاتها وخصائصها النظرية والمنهجية، والغاية التي ينشدها كل صنف منها.

كلمات مفتاحية: الكتابة اللسانية؛ الإبستمولوجية؛ العوائق؛ التصنيف.

Abstract:

This work aims to see the modern Arabic linguistic writing, and to know its types, the criteria adopted for its classification, and the types of its obstacles, such as formal and epistemological obstacles, as it was classified according to three criteria, namely: the subject, the method, and the purpose, so it was divided according to the latter. There are three types of writings: the first is introductory linguistic writing, the second is traditional linguistic writing, and the third is specialized linguistic writing.

Keywords :Linguistic writing; epistemology; obstacles; classification.

*المؤلف المراسل:

1.مقدمة:

قامت اللسانيات المعاصرة التي أرسى فردينان دوسوسير صرحها على جملة من المبادئ والأسس النظرية والمنهجية، وهو ما عد قطيعة إبستمولوجية وتحول معرفي في تاريخ الفكر اللغوي، حيث تم الانتقال من اللسانيات التاريخية المقارنة إلى مرحلة اللسانيات الوصفية، وكان لهذه القطيعة أثرها على الدرس اللساني، وتنوعت قراءة محاضرات سوسير مما نتج عنه تعدد التيارات اللسانية المعاصرة، وكان لانتقال اللسانيات الحديثة إلى الثقافة العربية المعاصرة، وتأثر اللغويين العرب بهذه الثقافة الوافدة من الغرب مظاهره ومميزاته، ومنها تنوع الخطاب اللساني العربي الحديث، وتعدد الكتابات اللسانية العربية الحديثة، ولكل من هذه الكتابات مظاهرها، وعوائقها ومشاكلها وقضاياها على مستوى الموضوع، والمنهج، والغاية المتوخاة من الدراسة، فما هي هذه الكتابات؟ وماهي عوائقها؟ وماهي مظاهرها؟.

2.معايير تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة:

قام تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة على عدة معايير، وهذا معهود في تاريخ العلوم والتنظير لها، إذ يعتمد على معايير محددة لتمييز هذا من ذاك، و"التصنيف إجراء معرفي تمارسه العلوم جميعها، لأنه يسمح بمقاربة الظاهرة المدروسة ومعرفة مميزاتها الثابتة والمتغيّرة من جهة، كما يسمح ببيان أنواعها بناء على معايير محددة للتصنيف تفرضها الدراسة"[1]، وظاهرة تصنيف العلوم له دلالة معرفية تساعد على بيان الخصائص المعرفية لكل صنف من أصناف المعارف العلمية، وعليه يمكن القول إن دراسة الخطاب اللساني العربي الحديث يحتاج إلى هذا التصنيف لمعرفة أنواعه، وخصائصه، ومميزاته، واهتماماته، ومعوقاته، "لهذا نحتاج إلى تقديم جملة من المعايير الجديدة التي يمكن اعتمادها لتحديد نوعية الكتابة اللسانية العربية الحديثة وهذه المعايير هي: الموضوع والمنهج والغاية"[2]، لأن هذه الثلاثة الأخيرة تؤدي دورا هاما في تحديد المعارف العلمية، حيث تكون سببا في ضبطها ودقتها، وعليه يمكن القول: إن الدرس اللغوي العربي الحديث لم يكن بمنأى عن هذا الإجراء الذي تم في ضوئه رسم الحدود الفاصلة بين الدراسات اللغوية القديمة واللسانيات الحديثة بزعامة سوسير الذي اعتمد على جملة من المبادئ النظرية والمنهجية منها هذه المعايير الثلاثة السالفة الذكر، وهو ما اعتبر تحولا في تاريخ الفكر اللغوي.

1.2.معيار الموضوع:

يعد الموضوع من القضايا التي تهتم بها الدراسات الإبستمولوجية، لأهميته في بيان الحدود الفاصلة بين العلوم المتداخلة، ولقد استطاع سوسير بتحديده، أن يؤسس اللسانيات الحديثة؛ وغايته هي أن تدرس اللغة دراسة علمية مستقلة عن العلوم التي تتداخل معها وعليه "فإن فهم اللغة على أنها نظام علائقي وعلى أنها بنية داخلية، وفهم

كيف اتخذت نموذجا لدى سوسير من خلال أفكاره وهي أن موضوع علم اللغة ليس إلا اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها وأن اللغة شبكة من العلاقات التزامنية، وأن اللغة ليست مادة بل هي شكلٌ"[3]، من الأسس الإبستمولوجية التي اعتمدها سوسير معاييرَ لاستقلالية اللسانيات عن بقية العلوم المجاورة لها كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، وغيرها من العلوم التي تشاركها في موضوعها "فلكي تحدد اللسانيات موضوعها، كان عليها أن تفعل ذلك برسم مسافة فاصلة بينها وبين علوم المجتمع والتاريخ...الأمر الذي يوضح بجلاء البون الشاسع أو القطيعة النهائية مع ما كان يمارس داخل الدرس اللغوي سابقا. كما يفسر حداثة الدرس اللساني وجدة مشروعه"[4]، لأن العلوم لا تستقل إلا بتحديدها لموضوعها، وتوضيحه؛ وهذا ما يعكس علمية اللسانيات الحديثة؛ حيث اعتمدته معيارا يفصل بينها وبين العلوم التي كانت تشاركها فيه بالدراسة.

وأما الموضوع في الدرس اللساني العربي الحديث يراد به "...أحد الأشياء التالية: النظريات اللسانية ومبادئها ومناهجها وأعلامها وما يتصل بها...[والثاني] التراث اللغوي العربي القديم من حيث أنه تصورات وطرق للتحليل..[والثالث] اللغة العربية الفصحى القديمة والحديثة أو إحدى لهجاتها"[5] ومنه يلاحظ أن الموضوع في الدرس اللساني العربي الحديث متعدد، وهذا يعد من المعوقات والأزمات التي تعتريه، لأن عدم تحديده بدقة يؤدي إلى الخلط بين أنواع الخطابات اللسانية، والتي جاء تصنيفها خاضعا للمعايير الثلاثة: منها معيار الموضوع، وهذه الإجراءات "...لا يستغني عنها اليوم باحث في اللغة والأدب"[6]، لأن لها أهمية إبستمولوجية في تحديد التعريف بكل صنف، ومعرفة خصائصه النظرية والمنهجية، وبذلك صنفت الكتابات اللسانية العربية الحديثة، إلى كتابة تراثية، وتعليمية، ومتخصصة.

2.2.معيار المنهج:

يعتبر المنهج لدى الدارسين أداة من أدوات البحث الإجرائية التي يجب على الباحث أن يلتزمها أثناء دراسته، وهو "مجموعة طرائق وتخطيطات صورية سابقة على الإنجاز تتضمن منطقا مقنعا وواضحا، بغية الوصول إلى نتائج مقبولة، لها القدرة على حل تلك المشاكل"[7]، وقد اعتمدت اللسانيات الحديثة لتحقيق علميتها واستقلاليتها على تحديده، لأن "غايته إضفاء العلمية والموضوعية على الحكم الذي يتوصّل إليه"[8]، وهذه الأخيرة هي ما سعى سوسير لتحقيقه، يقول مصطفى غلفان: "واستقلالية اللسانيات لا تأتّى منهجيا إلا بخلق إطار نظريّ عامّ يبدأ بتحديد الموضوع تحديدا منهجيا، يمكّن من رسم الملامح الخاصة باللسانيات باعتبارها دراسة علمية..."[9] ، وفي اللسانيات الحديثة الرؤية المنهجية

هي التي تحدد الموضوع، لأن هناك علاقة "وثيقة بين طبيعة الموضوع المعالج وطبيعة المنهج المستخدم؛ إن الموضوع المعالجَ يتأثر حكما بالمنهج المعالِج؛ وقد تتغير حقيقته إذا ما عولج بواسطة منهج غريب"[10]، ولهذا يعد معيار المنهج من الأسس الإبستمية وأداة من الأدوات الإجرائية التي يعتمدها الباحث الإبستمولوجي أثناء عملية البحث والتنقيب بغية الكشف عن الخلفيات الفلسفية والمعرفية التي تتضمنها النظرية موضوع الدراسة.

وأما المنهج في الدرس اللساني العربي الحديث "فهو وجهة النظر المتبعة في بحث موضوع معين..."[11]، أي الرؤيا التي يتبناها اتجاه من اتجاهات الكتابة اللسانية العربية الحديثة، ويقسم إلى أقسام ثلاثة "المنهج التعليمي التربوي الذي يروم تقديم المعرفة للقارئ العربي...[و] منهج...إعادة القراءة...والمناهج العلمية المعروفة في اللسانيات...."[12]، وبين معايير التصنيف الثلاثة للخطاب اللساني العربي، يتضح لنا أهمية المنهج في دراسة اللسانيات، والدور الذي يلعبه لأننا "في مجال اللسانيات...نحتاج إلى تحديد المنهج أولا، ثمّ الموضوع ثانيا"[13]، ولهذا تم اعتماده معيارا يعرف به أنواع الخطاب اللساني العربي الحديث، وهذا العمل الإبستمولوجي يعود الفضل فيه إلى مؤسس اللسانيات الحديثة.

3.2.معيار الغاية:

إن العلوم لا تنشأ هكذا اعتباطا، بل لها أسبابها ودواعيها وغاياتها التي تسعى لتحقيقها، وعليه فإن اعتماد معيار الغاية لتصنيف الخطاب اللساني العربي الحديث عمل إبستمولوجي تم في ضوئه وضع الحدود الفاصلة بين أنواع الخطاب اللساني العربي الحديث، الذي تتعدد غاياته كما تتعدد مواضيعه ومناهجه، وإن "المعنى المقصود في عبارة موضوع اللسانيات هو الغاية المتوخاة من كل نشاط فكريّ...غير أن الموضوع في اللسانيات لا يقدّم نفسه بشكل تلقائي، إنه نتيجة عمل تصوّريّ ومنهجيّ"[14]، وهذا يعكس العلاقة الوثيقة بين هذه المعايير؛ فهي مرتبطة ببعضها البعض.

يعد معيار الغاية أو الهدف في الخطاب اللساني العربي الحديث من القضايا اللغوية التي تعكس عوائقه ومشاكله على مستوى الدرس اللساني العربي بوجه خاص، وعلى الدراسات الإنسانية في العالم العربي بوجه عام، وهذه الغاية "...نقصد بها الهدف الذي يرومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني. من حيث الغاية...[ثلاثة أنواع]: الأول تبسيط المعرفة وتقريبها من القارئ العربي المتخصص [و الثاني] التوفيق بين التراث اللغوي القديم في جوانبه المتعددة ومضامين النظريات اللسانية الحديثة [والثالث] اقتراح وصف و أو/تفسير جديدين لظواهر لغوية عربية"[15]، وهذه الغايات المتعددة ناتجة عن عدة عوامل،

منها ما يتعلق بوضعية العلوم الإنسانية في العالم العربي، ومنها ما يتعلق بالطريقة التي استوعب بها اللغويون العرب اللسانيات الحديثة.

3.أنواع الكتابة اللسانية في الخطاب العربي الحديث:

لقد تم تصنيف الخطاب اللساني العربي الحديث كما يرى مصطفى غلفان باعتماد ثلاثة معايير وهي: الموضوع، والغاية، والمنهج، حيث يقول: "... يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الكتابة اللسانية... [الأولى] الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية...[والثانية] الكتابة اللسانية التراثية أو لسانيات التراث. [والثالثة] الكتابة اللسانية المتخصصة أو لسانيات العربية."[16]، وتتباين هذه الكتابات موضوعا، ومنهجا، وغاية؛ وهذا من الدواعي لاعتمادها للفصل بين أصناف الخطاب اللساني العربي الحديث، لمعرفة معوقاته وأزماته ومعالجتها في إطار البحث الإبستمولوجي.

1.3.الكتابة اللسانية التمهيدية:

تتضح حدودها انطلاقا من أسس إبستمولوجية، وهي معايير التصنيف: الموضوع، والمنهج، والغاية، فموضوعها "يتشكل مما تقدمه اللسانيات الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة. وتعتمد المنهج التعليمي... [وغايتها] تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية للقارئ العربي..."[17]، لذلك وصفت بأنها تمهيدية أو تعليمية؛ لأنها تسعى عن طريق التمهيد والتقريب لإطلاع القارئ العربي على التيارات اللسانية الغربية، فتتخذها موضوعا لها، وتتبع خطوات المنهج التعليمي، كالشرح والتفسير والتوضيح وغيرها من الإجراءات التعليمية.

2.3.الكتابة اللسانية التراثية:

من حيث الموضوع فهي تتخذ "... التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساته المتنوعة. أما المنهج...[فهو] إعادة القراءة...[و] أهدافها قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث، والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة...[و] إخراجها في حلة جديدة تبيّن قيمتها التاريخية الحضارية"[18]، وعرف هذا الصنف من الكتابات بالكتابة اللسانية التراثية؛ لأنه يسعى إلى إبراز القيمة المعرفية والعلمية للدراسات اللغوية العربية القديمة، ووسيلته المعتمدة في ذلك هي إعادة قراءته للتراث والاطلاع عليه، ثم التوفيق بينه وبين ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث بمختلف تياراته واتجاهاته.

3.3.الكتابة اللسانية المتخصصة:

يعتمد هذا الصنف من الكتابات اللسانية العربية على المعايير المعتمدة في التصنيف من أجل تعريفه وتحديد موضوعه، وتبيان غايته، فهي الكتابة التي تحدد "... اللغة العربية موضوعا لها تشتغل به...ويتم النظر للغة العربية باعتبارها نسقا صوريا أو وظيفيا يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات [اللسانية]"[19]، حيث تختلف عن الكتابتين السابقتين، بتحديد موضوعها ومناهجها وغايتها، أما من حيث المنهج فهي تعتمد على المناهج اللسانية، كالمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، كما تعكس ذلك مؤلفات تمام حسان، وعبد الرحمان أيوب، والمتوكل، والفاسي الفهري وغيرهم، وأما غايتها فهو وصف اللغة العربية في ضوء ما قدمته اللسانيات الحديثة من مفاهيم نظرية وإجرائية؛ ويكون ذلك بالتقيد بأسس المعرفة العلمية والمبادئ العامة للسانيات.

4.معوقات الدرس اللساني العربي الحديث:

الموضوعية ميزة من ميزات البحث العلمي، بل قوام من مقوماته، ومرتكز يعتمد عليه في نقد العلوم بغية الكشف عن جوانب القوة والضعف فيها، وإن الناظر بهذا المنظار إلى حال العلوم الإنسانية في الوطن العربي يدرك كثيرا من المعوقات التي تعتريها، وباعتبار اللسانيات من العلوم الإنسانية التي نشأت في أحضان الثقافة الغربية الحديثة، ثم وفدت إلى البلاد العربية، فقد اعترضتها عدة صعوبات مما جعلها تحيد وتبتعد عن مسارها العلمي الذي أنتجت فيه، ومرد ذلك إلى "العوائق السوسيولوجية...[و] العوائق الإبستمولوجية [وهو] عجز اللسانيات عن حل مشاكلها الخاصة"[20]، وكان لهذه العوائق أثرها السلبي على اللسانيات ومستقبلها إثر دخولها إلى الثقافة العربية المعاصرة.

1.4.العوائق الموضوعية:

ويرتبط هذا الصنف الأول "... بالمحيط المادي والصعوبات الحقيقية التي تعترض سبيل البحث العلمي في الوطن العربي"[21]، حيث يتناول العديد من الجوانب المتعلقة بقضايا البحث والعلوم الإنسانية في البلاد العربية، متعلقة بالثقافة العربية ومشاكلها المتعددة والتي تعد سببا في تأخر تطور الخطاب اللساني العربي الحديث، وذلك لعدة أسباب كانت ولاتزال تقف سدا منيعا أمام التطورات التي تسعى إليها البحوث العلمية في العالم العربي الحديث، منها الإيديولوجية، والاجتماعية وغيرها، حيث كان لها أثرها غير الإيجابي على التطور العلمي والمعرفي.

2.4.العوائق الإبستمولوجية:

وهو ما يعبر عنه مصطفى غلفان بالعوائق الداخلية أو الصورية حيث "...ترتبط بكنه الدرس اللساني العربي من حيث هو بناء نظري ومنهجي يمارس في الكتابة اللسانية

العربية الحديثة"[22]، أي تعالج القضايا الإبستمولوجية في الخطاب اللساني العربي الحديث، على مستوى الموضوع، ومستوى الأسس النظرية والمنهجية، وما يعتريها من مشاكل تمثل الأسباب الرئيسة في تأخر الخطاب اللساني العربي الحديث عن التطور العلمي في مجال الدراسات اللسانية، وما وصل إليه نظيره الغربي من تقدم، وانفتاح على كثير من المجالات العلمية والمعرفية كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والرياضيات، والاستعانة بها في تطوير دراساته اللغوية.

يندرج هذا العمل الإبستمولوجي في الكتابة النقدية المؤسسة؛ حيث يعتمد العمل النقدي فيها "...على محددات نظرية ومنهجية... من خلال الربط بين المقدمات والنتائج، وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها باعتماد الانسجام والتماسك في التحليل مما يستجيب لقيد النسقية"[23]، وهذه المحددات مستخلصة ومستقاة من الإبستمولوجيا المعاصرة؛ هدفها نقد المنجز اللساني العربي الحديث في منطلقاته وأسسه النظرية والمنهجية؛ من أجل معرفة هذه العوائق الإبستمولوجية التي كانت سببا في تأخره على المستوى العلمي عموما؛ وعلى واقع الثقافة العربية المعاصرة خصوصا، فدراسة الكتابة اللسانية العربية على مستوى الموضوع وعلى المستويين النظري والمنهجي من المحددات الإبستمولوجية التي اعتمدت في هذا البحث.

5.أنواع العوائق الإبستمولوجية:

1.5.العوائق الإبستمولوجية على مستوى الموضوع:

إن تحديد الموضوع ضرورة منهجية؛ لأن تحديده مقوّم من مقومات الدراسة العلمية التي تحدد لكل ظاهرة من الظواهر المدروسة الرؤية النظرية والمنهجية التي يجب أن تتبع أثناء دراستها؛ ويعد من العوائق التي اعترضت سبيل الخطاب اللساني العربي الحديث، وذلك بابتعاده "... عن موضوعه الحقيقي والمعاصر له... وهو اللغة العربية من حيث هي بنية متعددة المستويات...[والنظرة] غير الموضوعية للغة العربية...[و] ربط الموروث اللغوي العربي القديم بأحدث النظريات والنماذج اللسانية"[24]، حيث كان لهذه العوائق أثرها السلبي، والذي تعكسه العديد من الكتابات اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة التي لم تراع هذا العائق الإبستمولوجي.

2.5.العوائق الإبستمولوجية على المستويين النظري والمنهجي:

تعد معرفة المنطلقات الفكرية للعلوم والمناهج التي تعتمدها من المواضيع التي تتناولها الإبستمولوجيا باعتبارها "...دراسة نقدية موضوعها المعرفة العلمية من حيث

المبادئ التي ترتكز عليها والفرضيات التي تنطلق منها والنتائج التي تنتهي إليها"[25]، وعليه فمعرفة الباحث اللساني العربي للأسس النظرية والمنهجية للسانيات الحديثة ونظرياتها ضرورة معرفية لابد منها، ويتجسد أثر الإخلال بذلك في الحال التي عليها الخطاب اللساني العربي الحديث، حيث لم يراع ولم يعر الاهتمام للدراسة الإبستمولوجية التي تقترح قوانين تنظيم المعرفة العلمية وتمحيصها.

إن المتأمل بنظرة العلم والموضوعية يلاحظ أن الخطاب اللساني العربي الحديث قد اعترته كثير من العوائق على مستوى الموضوع والمستوى النظري والمنهجي، ويتضح هذا الأخير في "عدم إدراك الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها اللسانيات في تعاملها مع الظواهر والقضايا اللغوية...[و] انعدام برنامج لساني عام يحدد الأولويات وما يتطلبه واقع اللغة العربية...وتخلف كبير في تتبع...تطور اللسانيات بشتى فروعها ومختلف مشاربها النظرية والمنهجية...وتجاهل المهتمين العرب بقضايا اللغة العربية للنظريات اللسانية...و[البحث] في قضايا لغوية غير مجدية"[26]، وتعد هذه المعوقات من أسباب عدم تطور الدرس اللساني العربي الحديث وبقائه على هذه الحال الراهنة.

6. المعوقات الإبستمولوجية في اتجاهات الكتابة اللسانية المتخصصة:

إن الكتابة اللسانية المتخصصة قد شابها الكثير من المعوقات الإبستمولوجية بمختلف اتجاهاتها التي عرفتها من "...اتجاه بنيوي وصفي [و] اتجاه توليدي تحويلي، واتجاه تداولي وظيفي، ومن الملاحظ أنه كلما تطور البحث اللساني وأفرز نماذج لسانية متطورة كلما قل عدد اللسانيين المطبقين لهذه النماذج على اللغة العربية..."[27] ، وهذا ما كان داعيا إلى التقصي الإبستمولوجي الذي يمارسه أصحاب الكتابة اللسانية النقدية المؤسسة من خلال تحديد جملة من المعايير التي يتم في ضوئها نقد المنجز اللساني العربي المتخصص، بالوقوف على مشاكله وتحديدها، ومعرفة أسبابها، واقتراح الرؤى الإبستمولوجية لمعالجتها، وسيقوم هذا العمل على عرض بعض العيّنات التي قدمها مصطفى غلفان على سبيل التمثيل والإيجاز، لا على سبيل الحصر والتفصيل؛ لأن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث مطول.

1.6.العوائق الإبستمولوجية في الاتجاه البنيوي الوصفي:

تتجسد العوائق الإبستمولوجية في الاتجاه البنيوي الوصفي في عدم تحديد الموضوع بدقة، وفي عدم تحديد المصادر والمنطلقات والأسس النظرية والمنهجية، وهي الرؤيا التي تقترحها الكتابة النقدية المؤسسة؛ وهو أن يتم تقييم هذه الكتابة بالاستناد إلى جملة من المحددات التي تقدمها إبستمولوجيا اللسانيات باعتبارها "مقاربة تهتم بصورة المعرفة

اللسانية بغية تقويمها من جهة أسسها ومبادئها المصرح بها أو المسكوت عنها"[28]، حيث يمكّن اعتماد هذه المقومات في الكشف عن العوائق وأنواعها وأسبابها في إطار ما تقتضيه الدراسة العلمية للسانيات من مبادئ عامة يجب على الكتابة اللسانية أن تتقيد بها.

1.1.6.عائق عدم تحديد المصادر والأسس النظرية والمنهجية:

إن عدم تحديد المصادر والأسس النظرية والمنهجية وتوضيحها في الكتابة اللسانية البنيوية الوصفية الحديثة يعكس ما هي عليها من عدم التقيد بالخطوات العلمية التي تفرضها المعرفة العلمية من ناحية، ومن ناحية أخرى يوحي بتأخر الدرس اللساني العربي الحديث، يصف ذلك مصطفى غلفان حيث يصف باحثا لسانيا عربيا حيث يقول هذا الأخير: "آن للدراسات اللغوية العربية أن تعتمد البنيانية...وعزفت الألسنية عن فلسفة اللغة...واهتمت بالوصفية وبالتحليل الألسني"[29]، فهذه جملة من المفاهيم والمصطلحات النظرية والمنهجية لكنها لم تحدد بدقة! وهو ما يثير كثيرا من الغموض والالتباس لدى المتلقي.

يطرح مصطفى غلفان حول ذلك الأسئلة التالية: "فما هي البنيانية؟ وماهي هذه الألسنية الحديثة؟ وأي وصفية وتحليل ألسني يقصد؟"[30]، فهذه الإشكالات ذات طبيعة إبستمولوجية؛ أي معوقات إبستمولوجية وقع فيها الاتجاه الوصفي العربي الحديث، لأن تحديد المفاهيم والمصطلحات بدقة يضع الحدود الفاصلة بين النماذج اللسانية، ولأن "معرفة النماذج اللسانية أمر له دلالة معرفية ويقتضي القيام به الاستعانة بما توفره الإبستمولوجيا من أدوات استراتيجية"[31]، وعدم تحديد دلالة هذه المفاهيم والمصطلحات بدقة من العوائق الإبستمولوجية وينتج عنه الخلط بين التيارات اللسانية الحديثة، لأن هذه الأخيرة من بنيوية ووظيفية وتوزيعية توليدية كل واحدة منها لها منطلقاتها وخلفياتها الإبستمولوجية التي تميزها عن الأخرى.

ويعتبر هذا الخلط بين التيارات اللسانية مخالفة للمبادئ العامة في اللسانيات "ومن المعروف أن اللسانيات الوصفية أو البنيوية اتجاهات ومدارس متعددة تتفق في أمور وتختلف في أخرى"[32]، فالمدارس اللسانية البنيوية الأوروبية والمدارس اللسانية البنيوية الأمريكية إن كان بينهما العديد من القواسم المشتركة، فإن لكل منهما خلفياتها الفكرية وأسسها النظرية والمنهجية التي تنطلق منها، ويتضح "أن الكتابات اللسانية العربية الوصفية لا تحدد بكيفية واضحة الإطار النظري الذي تندرج فيه"[33]، وعليه فإن تحديد الأسس النظرية والمنهجية ضرورة إبستمولوجية، ينتج عن عدم مراعاتها الاضطراب المفاهيمي والمصطلحي الذي يكون سببا في العديد من العوائق الإبستمولوجية منها عدم الوعي بتعدد المذاهب اللسانية وتنوعها.

2.6.العوائق الإبستمولوجية في الاتجاه التوليدي التحويلي

1.2.6.عائق تحديد المعطيات في الاتجاه التوليدي:

قامت اللسانيات البنيوية على جملة من المبادئ النظرية والمنهجية منها تحديد المدونة موضوع الدراسة مسبقا؛ والمدونة عند البنيويين "هي مجموعة من التعابير يقوم اللغوي بجمعها ودراستها لسانيا وهي تمثل نموذجا بالمعنى الإحصائي للكلمة، يمثل اللغة أو بعض مظاهرها التي يريد اللساني دراستها ومن هذا المنطلق فالعينة سانكرونية ونهائية"[34]، وأما المدونة في النحو التوليدي التحويلي فتختلف عن مفهومها في اللسانيات الوصفية حيث إن تشومسكي "يرفض كل اشتغال على المتن اللغوي لأنه يتعارض بكل بساطة والمبدأ التصوري المركزي الذي أسس عليه النحو التوليدي..."[35] ، ولهذا فإن تحديد المعطيات يختلف بين الاتجاهين، وفي هذا التباين بين الأسس والخلفيات المرجعية لكل من المدرستين ومن "هذه الجهة، يصبح التمييز بين نموذج القدرة، ومن ورائه النظرية التوليدية، وبين نماذج اللاقدرة، ومن ورائها النظريات البنيوية على اختلافها، تمييزا له دلالة؛ لأن كلا من القسمين يحدده إطار إبستمولوجي متميز"[36]، حيث تختلف المنطلقات الفكرية بين الاتجاهين. ولهذه الأخيرة دورها في تحديد المعطيات.

وإن للغاية دورها في تحديد المعطيات، وإن الاختلاف بين الاتجاه البنيوي والاتجاه التوليدي التحويلي من حيث الغاية يفسر التباين في تحديد الموضوع؛ حيث يسعى الأول إلى وصف البنى اللغوية، بينما ينشد الثاني التفسير، وعليه فقد حدد تشومسكي موضوعه وهو "حدس المتكلم ـ المستمع الذي يتيح الوصول إلى معرفة دقيقة وشاملة بالملكة اللغوية عند الأفراد، وهي مجموع القواعد التي يتوافرون عليها ضمنيا بطريقة واعية أو غير واعية"[37]، وأما الكتابة اللسانية العربية فقد وقعت في هذا العائق الإبستمولوجي، والمتمثل في عدم تحديد المعطيات بدقة، حيث يتم في كنفه دراسة اللغة العربية دراسة تلتزم بأسس المعرفة العلمية، وما تفرضه من خطوات إجرائية يجب السير في فلكها، وتقيّد بالمبادئ اللسانية العامة.

لقد كرّس عائق عدم تحديد المعطيات في الكتابة التوليدية العربية جملة من الإشكالات والتي كان لها الأثر السلبي على تطور الدرس اللساني العربي الحديث، ومن هذه النتائج "الاشتغال بنفس المعطيات في مجال اللغة...و الدوران في نفس الحلقة أي إعادة اجترار الأصول والمبادئ التي انطلق منها القدماء"[38]، وهذا يتعارض مع مبادئ المعرفة العلمية التي من خصائصها التطور والتقدم والكشف عن الحقائق العلمية، وقد نتج عنه أيضا "مواقف تخلط بين وصف اللغة العربية وقراءة التراث النحوي العربي"[39]، ويتعارض هذا مع ابستمولوجيا اللسانيات التي من مهامها ضبط المعرفة اللسانية نظريا ومنهجيا، بتحديد منطلقاتها، وتحديد أسسها على المستويين النظري والمنهجي "ومن الأمور المتعارف في ميدان التنظير وبناء النماذج والتي لابد من الإشارة إليها هي أن تناقض النموذج مع المعطيات قد يكون سببه هو الإخفاق في تحديد المعطيات التي يفترض أن تكون هي بدورها

منسجمة، أو في عدم قدرتنا على تأويلها تأويلا لا يتناقض مع النموذج"[40]، وهذه العوائق والإشكالات هي التي كانت سببا في تأخر الدراسات اللسانية التوليدية العربية، ولاتزال كذلك كما يشهد عليها حالها الراهن باستثناء بعض الكتابات العربية التي حققت تقدما معرفيا في هذا الحقل المعرفي من الدراسة.

إن الأصول النظرية والمنهجية في لسانيات التراث ليست هي ذاتها في اللسانيات العربية، وإن معالجة أمثلة وشواهد تناولها الدرس اللغوي العربي القديم يتنافى مع المبادئ العامة للسانيات؛ لأن "استحضار نفس المعطيات لا يسمح بفهم جديد للغة العربية في وضعها الراهن لأنه يلغي دفعة واحدة ما حصل في بنياتها من تطور"[41]، كما أنه يبتعد عن موضوع الكتابة اللسانية المتخصصة التي تتخذ من الواقع اللغوي العربي موضوعا لها، ساعية لوصفه وصفا جديدا في بنياته في ضوء اللسانيات الحديثة ونظرياتها وتياراتها المتعددة.

والوصف الجديد للظواهر اللغوية العربية يقتضي الانطلاق من ظواهر لغوية من الواقع العربي المعاصر، فدراسة الأمثال والحكم العربية القديمة إخفاق منهجي في تحديد المعطيات، يقول أحد اللسانيين العرب: "المعطيات موضوع هذا الفصل الأمثال والحكم...ننظر فيها وإن كانت تعنينا من حيث الظاهرة ومن أمثلتها: الصيف ضيعت اللبن"[42]، فهل تحليل مثل هذه المعطيات يخدم الدرس اللساني العربي المعاصر؟ فلماذا لا تتناول قضايا من الواقع اللغوي العربي المعاصر؟ مثل الرواية العربية المعاصرة، والشعر العربي المعاصر، وإخضاعها للدارسة اللسانية العلمية الموضوعية بمختلف اتجاهاتها مع التقيد بمبادئها والالتزام بقواعد النموذج المختار.

إن الكتابة اللسانية التوليدية العربية تبتعد عن موضوعها، والذي يتمثل في اللغة العربية كمعطى واقعي يجب علينا أن تنطلق منه؛ كي ترصد تطور الظواهر اللغوية العربية، وذلك باستثناء بعض الكتابات مثل كتابة "الفاسي الفهري في مسألة المعطيات وطبيعتها وما يرتبط بهذا الموضوع الهام من إشكالات فإن الكتابات التوليدية العربية الأخرى لم تحدد هذا المتكلم السامع المثالي"[43]، وهي بهذا قد ابتعدت عن الموضوع، وذلك يعود لطبيعة المعطيات التي اشتغلت عليها؛ وذلك بتناولها ومعالجتها لظواهر لغوية تمت دراستها من قبل القدماء؛ واعتمادها كمعطى وموضوع يرجى من دراسته مواكبة التطورات الحاصلة في الدراسات اللسانية في الغرب لا يتفق مع غاياته التي يسعى إلى تحقيقها؛ ولذلك ينبغي للتجاوز هذه الإشكالات أن تلتزم الدارسات التوليدية العربية المتخصصة بموضوعها المحدد.

3.6.العوائق الإبستمولوجية في الاتجاه الوظيفي:

1.3.5.عائق عدم الإيمان بتعدد التيارات اللسانية:

يعود تعدد النظريات اللسانية الغربية المعاصرة لعدة عوامل: منها القراءات المتعددة والمتنوعة لمحاضرات سوسير و"إن تعدد التصورات، وتنوع الاهتمامات، وتكاملها، واختلاف المواقف اتجاه القضايا اللغوية المطروحة يجعل من العسير في كثير من الحالات، الحديث عن اللسانيات وكأن الأمر يتعلق بعلم واحد أو تصور واحد متكامل ومتجانس"[44]، وعليه فإن إبستمولوجيا اللسانيات تفرض على الباحث اللساني المعرفة بالخلفيات الفلسفية لهذه النظريات، وأسسها النظرية والمنهجية، والعلاقات التي بينها وذلك بتحديد الإطار العام الذي أنتجت فيه.

ومنه فإن الاتجاه الوظيفي في الكتابة اللسانية العربية باستثناء ما قدمه أحمد المتوكل لم يوضح معالم الدرس الوظيفي بمختلف مدارسه ونظرياته، رغم أنه من القضايا التي تهتم بها اللسانيات، ولأن اعتبار الوظيفية وظيفية واحدة، وعدم تقديم وتوضيح الإطار المعرفي للسانيات الوظيفية من العوائق الإبستمولوجية التي اعترت الخطاب اللساني العربي الحديث، وهذا يحيل على حال اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ووضعها المتردي، ويدل على عدم مواكبتها لنظيرتها الغربية، فهل من المعقول أن يقتصر في الاتجاه الوظيفي على ما قدمه أندري مارتيني؟ ويتجاوز ما قدّمه مؤسسو هذا الاتجاه؟ وتجاهل جهود هاليداي وفيرث؟

لقد اهتم الدارسون العرب بالدراسات الوظيفية، كما تعكس ذلك كتاباتهم "غير أن هذه الكتابات لم تقدم للثقافة العربية الصورة المتكاملة والإطار العام للسانيات الوظيفية منذ نشأتها إلى يومنا هذا، إذ انحصرت الوظيفية عند البعض في وظيفية مارتيني"[45]، والوظيفية ليست وظيفية واحدة؛ بل هناك وظيفيات؛ لأن بين هذه الاتجاهات اللسانية "الوظيفية، اختلافات جوهرية في كثير من الأسس والمنطلقات. فليست وظيفية حلقة براغ هي وظيفية مارتيني، ولا علاقة لوظيفية هذا الأخير بوظيفية هاليداي المعروفة بالنسقية أو وظيفية لندن"[46]، وهذا راجع إلى عدم الاطلاع الكافي على المعرفة العلمية والتاريخية لتطور الدراسات اللسانية في الغرب، إذ تقتضي المعرفة اللسانية الكشف عن أوجه الائتلاف والاختلاف والقواسم المشتركة بين النظريات اللسانية.

وعليه فإن القول: إن "النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندري مارتيناي"[47]، من العوائق الإبستمولوجية التي تعكس عدم المعرفة بهذه النظرية من حيث منطلقاتها وخلفياتها الفكرية وأسسها النظرية والمنهجية، ودليل على عدم الرجوع إلى الإطار المعرفي الذي نشأت فيه، ومخالفة للمبادئ اللسانية العامة التي من مبادئها الإيمان بتعدد المذاهب

اللسانية، وهو نابع عن عدم تتبع تطور النظريات اللسانية المعاصرة بشتى فروعها واتجاهاتها، والذي يعد ضرورة معرفية يجب على الباحث اللساني العربي اليوم أن يكون على إحاطة ودراية بها، من أجل بناء معرفة لسانية علمية عربية، تتوخى الدقة العلمية، التي تقتضيها كل معرفة علمية.

7.الخاتمة:

يعرف الخطاب اللساني العربي الحديث أزمة علمية، ترجع لعدة أسباب كانت لها نتائج على واقع اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة "وهي أزمة أسس؛ أي أزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالا معرفيا معينا وتحدد معالمه"[48]، فهي أزمة ذات طبيعة إبستمولوجية، وقد نتج عنها عدة عوائق كانت سببا في عدم تطور اللسانيات في العالم العربي، تقتضي معالجتها اعتماد عدة آليات للخروج من الحال الراهنة التي تعيشها، وذلك بالتنقيب والبحث باعتماد الأدوات الإجرائية والإبستمية، والمتمثلة في الوعي بالأسس المعرفية والخلفيات الإبستمولوجية التي تأسست عليها النظريات اللسانية المعاصرة، وما تنضوي عليه من خلفيات ومرجعيات سواء تمّ التصريح بها أم لم يصرح بها في هذا الخطاب اللساني واستقرائه والوقوف على كثير من الجوانب والعوامل الداخلية والخارجية التي تعيقه عن التقدم والتطور الذي تعرفه اللسانيات في الثقافة الغربية المعاصرة.

إن اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، يعترض سبيلها العديد من العوائق، ويعود ذلك لأسباب عدة، وإذا ما تم استثناء بعض الكتابات في الخطاب اللساني المتخصص فإن الكتابة اللسانية العربية تعيش أزمة إبستمولوجية منها الابتعاد عن الموضوع، وعدم تحديد الإطار النظري والمنهجي الذي تندرج فيه، حيث تعكس حالا من التردي والضعف لواقع الدراسات اللسانية العربية، يستدعي الخروج، منها تحديد المنطلقات والأسس النظرية والمنهجية؛ لتأسيس خطاب لساني عربي يتقيد بأسس ومبادئ اللسانيات العامة، والمعرفة العلمية.

8.قائمة الإحالات :

[1] رزيق بوزغاية، (2018)، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف، باتنة، الجزائر، ط1، ص84.

[2] مصطفى غلفان، (د، ت)، اللسانيات العربية الحديثة، عين الشق، المغرب، د، ط، ص90.

[3] جرهارد هلبش، (1981)، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، ط4، ص91.

[4] محمد محمد العمري، (2001)، الأسس للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص15

[5] مصطفى غلفان، (د، ت)، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، عين الشّق، المغرب، د، ط، ص90.

[6] رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، ص85.

[7] ناظم عودة، (2009)، تكوين النظرية غي الفكر العربي والإسلامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، ص17.

[8] المرجع نفسه، ص17.

[9] مصطفى غلفان، (2010)، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، ص213.

[10] مهدي فضل الله، (1998)، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، ص15.

[11] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص90.

[12] المرجع نفسه، ص90.

[13] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص209.

[14] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص213، 214.

[15] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص91.

[16] المرجع نفسه، ص91.

[17] المرجع نفسه، ص91.

[18] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص92.

[19] المرجع نفسه، ص 92.

[20] حافظ إسماعيلي علوي، (2009)، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، ص80-82.

[21] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص21.

[22] المرجع نفسه، ص21.

[23] أمحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، (2009)، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، ص194.

[24] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص23، 24.

[25] محمد وقيدي، (1987)، ماهي الإبستمولوجيا، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط2، ص15.

[26] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص، 24-26.

[27] المرجع نفسه، ص72، 73.

[28] أمحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص26.

[29] نقلا عن، مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص177.

[30] المرجع نفسه، ص177.

[31] محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص45.

[32] مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص178.

[33] المرجع نفسه، ص178.

[34] حسيني خاليد، (د، ت)، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة آنفو، فاس، المغرب، د، ط، ص62.

[35] مصطفى غلفان، وأمحمد الملاخ، وحافظ إسماعيلي علوي، (2010)، اللسانيات التوليدية، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط1، ص31.

[36] محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص62.

[37] المرجع نفسه، ص32.

[38] مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص236.

[39] الفاسي الفهري، (2000)، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2000، ص52.

[40] محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، ص49.

[41] مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص236.

[42] صالح الكشو، (2012)، النحو التحويلي العربي، مركز النشر الجامعي، تونس، د، ط، ص226-228.

[43] مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص238.

[44] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص203، 204.

[45] مصطفى غلفان اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص244.

[46] مصطفى غلفان، (2013)، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب المتحدة الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 42.

[47] عبد القادر المهيري، (1993)، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، ص232.

[48] مصطفى غلفان، (2013)، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، 49.